الأنساق الثقافية في الرواية الجزائريّة المعاصرة (رواية سلالم ترولار لـ سمير قسيمي أنموذجا)

The Cultural systems in the contemporary Algerian novel (Trollar's Ladders Novel by Samir Kassimy as a model)

ميلود زرادي*
مخبر الشعريات وتحليل الخطاب
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
miloud.zerradi@univ-annaba.org

نجاة عرب الشعبة
مخبر الشعريات وتحليل الخطاب
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
nadjettearab@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:30- 01- 2022م	تاريخ التقييم: 11- 04- 2022	تاريخ القبول: 15- 06- 2022

الملخص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـ :الأنساق الثقافية في الرواية الجزائريّة المعاصرة (رواية سلالم ترولار لـ سمير قسيمي أنموذجا) إلى تسليط الضوء على تمثلات الأنساق الثقافية في هذه الرواية، وذلك وفق آليات منهج النقد الثقافي، لكونه منهجا يعنى بتشريح المنجزات الأدبيّة في أطرها المختلفة هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هذه الدراسة تأتي كمحاولة لحصر وكشف أبعادها الجمالية والدلالية ومدى تأثير هذه الأبعاد المتوارية في جسد الرواية، وتحليل المواضع التي تبرز فيها.

الكلمات المفتاحية:النسق الإيديولوجي؛الأنساق الثقافية؛سلالم ترولار؛النسق الديني؛سمير قسيمي.

Abstract:

This study, tagged with: The Cultural systems in the contemporary Algerian novel (Trollar's Ladders Novel by Samir Kassimy as a model) seeks to shed light on the representations of cultural models in this novel, according to the mechanisms of the cultural criticism approach: On one hand, it is a method concerned with dissecting literary achievements in its various frameworks. And on the other hand, this study is presented as an attempt to identify and reveal its aesthetic and semantic dimensions and the extent of the impact of these hidden dimensions on the body of the novel, and to analyze the contexts where they emerge.

Keywords: ideological system؛ cultural systems؛ trolley stairs ؛religious order؛ Samir Kasmi.

*المؤلف المراسل:

1.مقدمة:

تعبر الرواية المعاصرة عن الحياة الاجتماعية وتنقل الواقع الإنساني بكل دقة من خلال سرد ما يمّر به من قضايا مصيرية مثل الثورات العربية أو الربيع العربيّ، والأزمات مثل أزمة العشرية السوداء في الجزائر، ولذلك شحنت المتون السردية الجزائريّة بتصوير الفترات التاريخية للمجتمع الجزائريّ بكل تقلباته. وتكون"الصورة الأدبية أو الصياغة، عملية لتشكيل هذا المضمون وإبراز عناصره وتنمية مقوماته"[1].

وعليه فقد بحث الروائيون الجزائريّون على اختلاف المشارب الثقافية التي استقوا منها إيديولوجيتهم على آليات جديدة في تجسيد الكتابة الروائية لتمثيل التعددية في طبقات المجتمع، كما استثمروا المخزون الثقافي ونهلوا من الزاد التاريخي ووظفوا الموروث الشعبي على تنوعه في الأقطار الجزائريّة حتّى"يستجيبوا لمعطى سياسي أو متطلب ثقافي اجتماعي ديني"[2].فكانوا بذلك أسرى الوظيفة الإيديولوجية التي تبرر التعدد الإيديولوجي عندهم.

وبناء عليه فإننا عبر هذه الورقة البحثية سيجري بحثنا في الإجابة على الأسئلة الآتية :كيف تتمثل الأنساق الثقافية في رواية سلالم ترولار؟ وإلى أيّ مدى يمكن للأنساق الثقافية في النّص أن تختزل شحنات إيديولوجية؟.وكيف توضح تلك الأنساق الأبعاد الدلالية المضمرة في المتن الروائي؟

2.الأنساق الثقافية في رواية سلالم ترولار لـ سمير قسيمي:

تقوم الانتاجات الروائية على توجيه القارئ من خلال"الآليات التي تضمن انتظامه في مستوى واحد من الكثافة المخفّفة، إلى درجة تسمح بأعلى نسبة من التماسك الظاهري، دون أية فرضية لبروز عامل تشتت يربك المتلقي أو يثير تأمّله الجمالي أو يوقظ توتّره للاستجابة الذكيّة"[3] وفق ما تتطلبه مقتضيات العصر ورؤية الكاتب لها، حيث تختزل في الأنساق الإيديولوجية المضمرة في ثنايا النّص الروائي. فهي"-ككل- نمطا من أنماط الانعكاس الحتمي للواقع الاجتماعي، هذا الواقع الذي يظهر لنا في الصياغة الفنية،

فيتشكل من خلاله– وينمو أيضا- العمل الفنيّ.ويستمد الأديب مادته من خلاصة جدله الدائب مع واقعه"[4]، فهو ابن مجتمعه، يسعى إلى ابتكار الحلول لمشكلاته.

ومنه كان لزاما على الروائي الجزائريّ مواكبة التغيرات الاجتماعية، بخوض مغامرة التجريب في المتون السردية، حيث ضمنها البعد الاجتماعي للمجتمع الجزائريّ المشحون بالأبعاد الإيديولوجية، ولهذا فإنّ مختلف الأشكال الأنتروبولوجية الاجتماعية هي منظومات إيديولوجية تحمل نمط تفكير المجتمع وطبيعة الإيديولوجيات المتصارعة فيه.

ولذا تزخر رواية"سلالم ترولار"بالعديد من الأنساق الثقافية. ونجدها على النحو الآتي:

1.2.النسق الاجتماعي:

يسير المجتمع وفق **منظومة اجتماعية** محدّدة تسيرها عادات وتقاليد تعتبر بمثابة القواعد التي تضبط حدود مختلف النشاطات الإنسانية، حيث تنضوي تحتها جميع السلوكات والأفعال التي تصدر عن الأفراد، لذا اهتم الروائي الجزائريّ في رصد وتضمين مجموعة من الأفعال والأنشطة الاجتماعية باعتبارها أنساقا ثقافية.ونحن بدورنا في هذا السياق سنرصد بعضها في الآتي:

1.1.2.نسق الأنا وسلطة الآخر:

اهتم الدارسون **بقضية الأنا والآخر** لأنها جامعة لكل العلاقات القائمة بين الجنسين، وصراع الأقليات، والأديان، والأعراق في نطاق المساحة الجغرافية موحدة، حتّى تعداه إلى صراع المستعمِر والمستعمَر،فـ"الرجل المستعمِر الراسف في أغلال إيديولوجيا طهرانية متزمتة في المجتمع الأبيض، يرخي العنان لجامح غرائزه وشهواته الملجومة، ما أن تطأ قدماه أرض المستعمرة.ونظيره يفعل الرجل المستعمَر، إذا ما قيضت له الأقدار أن يجيء إلى الدولة المتروبولية، لأنه يريد أولا أن يثأر لنفسه ولرجولته، ولأنه يعاني ثانيا في الكثير من الحالات من كبت جنسي شديد ناشئ عن الإيديولوجيا الأبوية الحنبلية التي تشد على خناق العلاقات"[5]، ويجد في بلاد المستعمَر مساحة لإطلاق عنانه وغرائزه المحرمة عليه في بلاده نتيجة سيطرة النسق الأبوي والتعصب في بناء العلاقة بين الرجل والمرأة.

ولم تبرز قضية **الأنا والآخر** في المجتمع الجزائريّ على العكس ما هو شائع، بل تعايشت كل الطبقات والأطياف من مختلف المناطق الجزائريّة فيه، حيث" كان(جمال حميدي) يأمل أن تلبي (أولغا) دعوته لحضور حفلة عيد ميلاده التي لم يحن وقتها، ومع ذلك كان يعلم في قرار نفسه استحالة قدومها لهذا لم يهتم بحلق ذقنه .ولم يتعب نفسه في ارتداء أيّ شيء يليق بالمناسبة.اكتفى بمساعدة (موح بوخنونة) في تحضير حفلة عيد ميلاد لم يحضرها في النهاية سواهما،بعد أن اعتذر(إبراهيم بافولولو) بسبب التزام عائلي طارئ"[6].ونقف في حفلة عيد الميلاد على الجو السائد على السلمية والتآزر بين الأفراد. فبالرغم من وجود بعض الحساسية في العلاقة القائمة بين الأفراد (جمال حميدي وأولغا وإبراهيم بافولولو) إلا أنهم أبوا قطع العلاقة بينهم.

ويشحن هذا التعايش بنية اللحمة التي تجمع الجزائريين بعضهم ببعض رغم الظروف الأمنية القاسية.وبالنسبة لهم"الحياة الإنسانية مقدسة، يجب أن لا يضحى بها،.. يجب دائما على المرء أن يبدأ مقاومته من وطنه ضد السلطة كمواطن يمكنه التأثير، لكن يا للأسف،فقد سيطرت القومية المتدفقة المتقنعة بالوطنيّة والمصلحة القوميّة على الشعور النقدي الذي يضع الولاء لل(أمة) فوق كل اعتبار. في تلك النقطة ليس هناك سوى خيانة المثقفين والإفلاس الأخلاقي الكامل"[7].والمساعي الحثيثة للمستعمر بمحاولاته المتكررة لمحو المقومات الأساسية للهوية في الجزائر من خلال تأجيج الفتنة الطائفية وأحقية طائفة على أخرى، وكذا تسليط الضوء على حقوق المرأة والحرية...وغير ذلك. فهذا الاستعمار هو استعمار الأفكار والإيديولوجيات الرجعية.

فهو"في الحقيقة، لم يهتمّ يوما بصورته عندها. كل ما شغله طوال حياته، صورته بالنسبة إليه، فمجرد فكرة أن يعيش بوجهين كانت تقزّزه في كلّ مرة"[8]،ونقف في هذا المقطع على حالة الأخلاقية السيئة لدى (جمال حميدي)، على الرغم من كونه مسؤول البوابين يدعو جميع العمال الآخرين إلى الاحترام وتقدير أنفسهم ومهنتهم، ولكنه يعمل بعكس ما يدعو إليه ويفتقر لذلك، والأكثر من هذا كله لا يراعي مشاعر زوجته، ممّا يسبب لها الألم الاحتراق في صمت مقيت.يجعلها تتخذ من الشرفة مكانا للتأمل ومناجاة الهموم حتى يخفف عنها.

2.1.2.نسق الذكورة وتمثلات الأنوثة :

يشاع في تكوين المجتمعات الذكورية تقديسها للفكر الأبوي بمنحه السلطة المطلقة في صنع القرارات،حتّى ارتقت درجته من مرتبة الأبوة العادية إلى درجة الأبوة الجوهر لكل شيء، ولذلك فوجود التبريرات اللازمة لكل فعل أو قول بدر سهوا في المجتمعات الذكورية أمر غير مستبعد،"وهذا ما يفسر لنا منزلة المرأة في خطاب الحب، حيث نرى الأدب الذكوري يقوم في أرقى حالاته على نشدان الجسد المؤنث والتوله به وملاحقته في الواقع وفي الخيال وفي الأحلام"[9]. ولهذا فإنّ أولوية الأدب الذكوري هي الركيزة الأساسية في قيام المجتمعات الكلاسيكية. يحاول الحفاظ على هذه المملكة في ظّل حركات التحرّر الفكري.وهذا الفكر ينظر إلى المرأة باعتبارها مجرد جسد فارغة من المشاعر والأحاسيس. وأدى هذا إلى نوع من الصراع الإيديولوجي بين الرجل والمرأة بفعل الانفتاح الذي عرفته المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائريّ خاصة.

ومنه مورست على المرأة كل أنواع العنف الجسدي والنفسي المطبق من قبل الفكر الفحولي بوصفه شكلا من أشكال السيطرة الذكورية، حيث مرت فيه على فترات من الظلم والاضطهاد،و"هو ما يدير دائرة الحوار الذي هو علمي في ظاهره، ولكنه في جوهره ليس سوى خطاب فحولي استنهض ذاته وأدواته، وأسنّة أقلامه، لمكافحة هذه الأنثى المتجزئة على سلطان الفحولة وعمودها الراسخ"[10]، وبذلك فهو بمثابة أسلوب ثقافي ومنهج إيديولوجي يعبر عن نسق الفحولة التي شيدت عالما له قوانينه الخاصة،وبالرغم من ذلك فقد أقام الخطاب الأنثوي نسقا مضادا لتلك الهيمنة ، "وكانت أميرة في عامها السادس عشر. ولسبب يتعلّق بوالدها، عاشت حياة من الوحدة الإجبارية، قوّضت عالمها إلى تلك البناية البيضاء الموجودة الآن في أعالي (حيدرة)، أين تنتشر كائنات طّيعة تومئ أكثر ممّا تتكلّم...هكذا انقسم النّاس في رأسها إلى نوعين من الكائنات"[11]، وتعيش الفتاة في الوحدة المفروضة عليها نتيجة الهيمنة الأبوية السلطوية. حرمتها من ممارسة حقوقها الطبيعية (العيش في حرية دون تجاوز حريتها إلى حقوق الآخرين).

ولذلك أدت تلك الهيمنة إلى قهر المرأة،" كانت تسير ببطء بسبب سيّارات مركونة على جانبّي الشارع ورصيفيه، والتي بسببها اضطّرت (أولغا) لقضاء وقت أطول من المتوقّع في

تشييع الشاحنة وهي واقفة على شرفتها، تبكي في صمت، أضاف لسكون الليل هيبة لا يدركها أحد غير كائنات ليلية، اعتادت على الظهور في هذا الوقت المتأخّر من الليل في اللحظة نفسها التي يبعث فيها رجلان من الظلام: واحد يطّل من شرفته... وآخر أطلقت عليه (أولغا) اسم (رجل القمامة) اعتادت على رؤيته كل ليلة"[12]، ولهذا تعيش (أولغا) كل ليلة الوحدة والتأمل في الأحزان والانغماس الذاتي، حيث تدخل فيها كلما تأملت من الشرفة، فقد ارتبطت الشرفة بالحزن والأسى. وأخذت دلالة الهّم والحزن، بعدما كانت مكانا للصفاء الذهني. فهنا اكتسبت الشرفة ظروف شخصية (أولغا) ونفسيتها وحتى الشحنات الدلالية المعبر عن حالة الانهيار الداخلي الذي يتوارى في شخصية المرأة القوية التي تظهرها للنّاس وتعاملهم بها، وكذا في إطارها تحدّد منظومة العلاقات بينها وبينهم.

2.2. سطوة النسق السياسي:

تعتبر **السياسة** جزءا هاما في التوليفة التركيبية للأعمال الروائية المعاصرة بوصفها قطبا فعّالا ومضمرا من أقطاب الفكر المعاصر، ويعوز ذلك لتوفرها على التنوع الإيديولوجي الموضح في تجسيد الصراع بين **الأنا والآخر**، وصراعات الطبقية في المجتمع، فهي أيّ **السياسة** حقل مثالي لصراع الإيديولوجيات، ومن ثمّ تتوجه لتصادمها بعضها ببعض، ممّا يفعل الصراع الفكري الإيديولوجي بين مختلف الطبقات لأن كل طبقة تجتهد في فرض منطقها على حساب الطبقة الأخرى.

وأصبحت **المضامين السياسيّة** تستخدم بشكل ملفت في الروايات الجزائريّة المعاصرة لأنها الفضاء المثالي لصراع الأفكار والأنساق السياسيّة، وتتبلور السياسة في:"أسلوب الحكم، وطريقة الإدارة السياسيّة، وكيفية صنع القرار السياسي وتنفيذه من خلال المؤسسات السياسية الحاكمة والمعارضة"[13]،وبذلك تجسد السياسة أنماط التفكير والمناهج المرتبطة بالأعمال المتعلقة بمختلف المؤسسات والكيانات.

ومنه يتجسد **النسق السياسي** في"مجموعة التفاعلات السائدة في أيّة وحدة سياسية مع إبراز وتأكيد العلاقات المتبادلة بين أطرافها. عبر إطار هذا النسق السياسي تدخل عناصر ومكونات كثيرة كالدولة والقوة وصنع القرار"[14]. ونتوصل إلى أنّ السياسة مجرد إعادة تشكيل لانصهار جميع الأفكار المكونة للأساليب السياسية المختلفة.

كما يتمثل **النسق السياسي** عند (دافيد رستون) على أنه "مجموعة التفاعلات التي من خلالها تتوزع السلطة وتتخذ القرارات الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات"[15]. لأن تفاعل تلك الإيديولوجيات ينبثق عنه مختلف القرارات السيادية.

ومنه **تمازجت** المضامين السياسية في الروايات الجزائريّة المعاصرة. بوصفها لب الخطاب الروائي حيث تشحن بمختلف الأحداث السياسية التي تعبر عن القضايا المحورية المجسدة لتطلعات المجتمع الجزائريّ، والتغييرات التي طالت ثنائية (المركز والهامش) أيّ تغيير اتجاهات الرؤية لدى الأدباء حتّى شملت الموضوعات الاجتماعية، والاقتصادية، والقومية، والوطنيّة، ذات الاتصال المباشر بواقع الفرد الجزائريّ.

ولهذا **فرضت** الإيديولوجيا السياسية المعاصرة على الفرد الجزائريّ الحلول الظرفية ، "وهو ما حدث بمجرّد أن انتهى (جمال حميدي) من خطابه الطويل الذي بدأه بجملته الذّكية(انتابني اليوم شعور غامض بحدوث الأمر)، وأنهاه بما اعتاد سماعه في خطب السّياسيّين من أن المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.كانت خطبة طويلة استغرقت ساعتين، تناولت كل شيء إلا حادثة اختفاء الأبواب، وتخلّلتها نكت، لم يضحك لها إلا (موح بوخنونة)، وبقية البّوابين طبعا، ولكن (جمال حميدي) كان من الذكاء والفطنة، بحيث أدرك بأن مواطني المدينة الدولة لا يحتاجون إلى إجابات ، بقدر حاجتهم إلى رجل يوهمهم بأنه يملك تلك الإجابات"[16].

وأشار الروائي لتلك النقطة السوداء في القاموس السياسي الجزائريّ والمتمثلة في الحلول ذات الفعالية قصيرة المدى أو التي يكسب من خلالها المسؤول الوقت لتجاوز تلك الأزمة بوعود كاذبة لا يستطيع تجسيدها على أرض الواقع، وتطلق (غالبا) في الحملات الانتخابية، وهنا (جمال حميدي) إلا عينة صغيرة تعمل على ترسيخ إيديولوجيا التصديق بكل الوعود المنبثقة عن قرارات الظرفية السلطات في فترة الأزمات،فهو محرك فعّال لتمهيد الأفراد لمثل تلك الوعود. وقد تحدث عن كل المشاكل التي يعاني منها سكان العمارة إلا قضية الأبواب المسروقة، على الرغم من أنها جوهر الاجتماع. فهذه الأبواب هي الحماية من المخاطر الخارجية والاعتداءات، فهي ذات دلالة على خطورة الأوضاع الاجتماعية في المجتمع الجزائريّ.

وسلّط المتن الروائي الضوء على قضية الفساد لأن ما" أرعبهم أكثر، لم يكن آلاف المساجين الذين فرّوا من سجونهم بسبب اختفاء الأبواب. لم يكن أيضا عدم شعور الشعب بأمان كانوا يوهمونه به، ولا ضياع ملايينهم التي جمعوها منذ أن تقّرر خلف البحر أن يصيروا آلهة جديدة، فحتّى وإن اختفت جميع أبواب البنوك والخزائن المكدّسة فيها أموالهم، كان بمقدورهم دائما أن يحافظوا على القدر نفسه من الثراء"[17].

ونجد في المقطع السابق تضمين على سوء التسيير من قبل المسؤولين، وإشارة على عمق **الفساد السياسي** الذي تتخبط فيه الجزائر، ويتجلى هذا في مقدار العيش الرفاهية والدرجة العالية من الثراء على حساب عامة الشعب. وهنا إحالة لحجم الفساد الإداري والسياسي الذي ينخر المجتمع الجزائريّ. كما نجد استخدام الروائي صيغة الخطاب المحيل على المجهول فهو لم يحدّد الطرف أهو سياسي أم مجرد آفة اجتماعية وجب الحيطة والحذر منها. وتوظيفه هذه الصيغة ينقلنا إلى محاولة التركيز في هوية شخصية معينة أو الممارسات في حد ذاتها تارة، وترك المجال لباب التأويلات القرائية تارة أخرى.

3.2. نسق الأماكن المقدسة:

تنظر المجتمعات العربية للأماكن المقدسة نظرة إجلال وتعظيم لشأنها ومكانتها، فهي أماكن يحرم المساس بقدسيتها، حيث تهذب فيها النفوس وتمنح من منابرها النصائح والعظّات الروحية التي تفيد في استقامة الظروف الحياتية، حتّى تقوي الجانب الإيماني (الديني) في المجتمع، و تتصدر المساجد طليعة الأماكن المقدسة في المقام الأول.

وعليه تلعب المساجد دورا فعّالا في ترقية المجتمع والنهوض به في جميع الأصعدة ومحاولة الارتقاء بالفرد ارتقاء بالمجتمع من خلال زرع القيم الفاضلة في نفوس الناشئ، كما تعمل الخطب المسجدية على تقويم السلوكات النّفسيّة والاجتماعية للأفراد من خلال الترغيب في تنمية عادات سلوكية والتنبيه على الخوض في عادات فكرية وسلوكية أخرى، "وبالتالي يمكن أن يؤدي ذلك إلى تحقيق تضامن المجتمع وتماسكه وتوافقه واندماجه بين كافة مكوناته وأطيافه الاجتماعية من أجل تقليل حالة الاحتقان الاجتماعي والسياسي بين أفراد المجتمع"[18]، وتمثل تلك الإجراءات الإستباقية دعامة للثوابت الاجتماعية في بنية

المجتمع من جهة، وتكريس روح الوحدة الوطنيّة من جهة أخرى. وهو جدار متين ضد مختلف أزمات المجتمع الجزائريّ.

وفي عودتنا **للسيرة النبوية الشريفة**، نجد حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على تدعيم أسس الأمة من خلال بناء أول المساجد في الإسلام في المدينة المنورة، حتّى يخدم جوانب عدّة، فهو دينيا يعتبر المنارة في زرع التعاليم الإسلاميّة السويّة لعبادة الله تعالى، واجتماعيا الجامع لوحدة كافة شرائح المجتمع تحت كلمة واحدة.

ومنه أصبح **المسجد** منبرا للعبادة ولذكر الله تعالى، ومع دوام الفرد المسلم لتلك السلوكات الخلاقة تغيرت البعض من سلوكاته وأخذت منحا تصاعديا من حيث تهذيب نفسيته وإقدامه على أفعال ساهمت في تقديم الإضافة للمجتمع الجزائريّ، وهذا هو حال (إبراهيم بافولولو). فقد كان حريصا على الصلاة في المسجد، فـ"وقتما وصلت دعوة (جمال حميدي)، كان يستعد للخروج إلى المسجد. فقد كان رجلا يقدّر الله ويحبّه للأسباب الوجيهة، التي تضمن له البقاء صامدا في زمرة اللامرئيّين. وكعادته منذ مجيئه إلى العاصمة، كان ينوي التّوجّه إلى مسجد(الأخوّة) بحيّ (تونجين)، أين يجدر بأيّ (ميزابي) يحترم إباضيّته أن يصلي"[19].

ويتجلى في المقطع السابق نشأة (إبراهيم بافولولو) نشأة دينيّة، انعكست على تصرفاته. فهو يحرص على الصلاة في المسجد، التي نمت فيه حبّ الخير وطيبة القلب، وأضف إلى ذلك تقديره لفضل صلاة الجماعة في تقوية أواصر المحبة وزيادة العاطفة الاجتماعية لديه. ونتج عنه تدريب نفسه على القيم الفاضلة، على الرغم من ترسبات إيديولوجية نشأ عليها بأن الصلاة في غير مسجد إباضي باطلة، فقد كسر تلك القاعدة وأبان على بطلانها. وتعود بنا تلك الفكرة إلى تأثير الرواسب الإيديولوجية والثقافية في تنشئة الفرد الجزائريّ.

كما ركز الروائي في مقطعه على طبقة (الميزاب) من خلال حرصهم على الصلاة دون غيرهم."بالطبع، لم يكن ليسرح بذلك علنا وأحيانا حين يلح عليه بعضهم للصلاة معهم في أقرب مسجد كان يتحجج العمل في محل الخردوات الذي يملك في الدوق (ديكار) دون أن يعلن ما لقنه صبيا في الصلاة في مسجد غير الإباضي لا تجوز فقد كان (إبراهيم بافولولو)

رجلا يفهم في الأصول و يفهم أكثر أن البقاء لا يحتاج أحيانا إلى القوة بقدر ما يحتاج إلى إظهار مزيد من الضعف"[20].

وأضف إلى ذلك أن الحرص على الصلاة واجب على كل مسلم إلا أن تركيز الروائي على المذهب الإباضي باختصار،وخاصة في تحديد مكان الصلاة معناه استحضار إيديولوجيا تلك الفئة الدينية أيّ (رؤية للعالم)[21] في نظرة البنيوية التكوينية لدى المنظر الغربي (لوسيان غولدمان). كما يعبر المقطع على التنوع الإيديولوجي في الجزائر فكل الطبقات تنعم بالسكينة والهدوء.

4.2. نسق الطابوهات أو خطاب الهامش:

تعتبر **الطابوهات** من الخصوصيات الثقافية في المجتمعات المحافظة، إلا أننا من الجانب الفنيّ وجب التزام الحياد في نقلها باعتبارها خطابا هامشيا نسقيا،ف" **التابو** أو **الطابوه** (ج. تابوهات أو طابوهات) كلمة تطلق على (المحظور في نظر المجتمع)، أي ما تعتبره أعراف المجتمع (أو السياسة أو جهة أخرى) من المحرمات"[22]. ولا يمكن للمثقف أو أيّ أحد آخر الخوض فيه ومناقشته بوصفها المسكوت عنه في الوعي الاجتماعي.

واحتوت رواية(سلالم ترولار)العديد من المشاهد الجنسية بتقنية الإيحاء المشهدي فهو" حتى حين وقع له ذلك الحادث الأليم وافقده القدرة على الحركة ولما أصيب قبل شهر بنوبة قلبيه بسبب مقوي جنسيا أخذه ليتذكر العشرين مع منظفة شابة التحقت بطاقمه المتكون في العادة من منظفات عجائز "[23]. ولعل هذه أولى المحاولات لعميد البوابين (جمال حميدي) من خلال الدخول في علاقة محرمة مع منظفة شابة.

وتنضوي مثل علاقة (جمال حميدي) مع تلك الشابة في خانة الممنوع في المجتمع الجزائريّ، وراح يطلب الأشياء المحرمة بدل رفض تلك العلاقة ،وبذلك تكتسب تلك العلاقة وصفها (المعادل الموضوعي) للمحتوى السردي لأن جميع الفئات المجتمعية في المدينة معرضون لتلك العلاقات متى وجدت الفرصة لها. وكان" الأمر في البداية ممتعا مجرّد لعبة. كما كان يقول (الرجل ما) في نفسه، لكنها ككل اللعب لفرط التكرار غالبا تجرّدت مع مرور الوقت من المتعة وتقمص ثوب الواجب "[24].

إنّ الطابوهات أنساق إيديولوجية ثقافية، إذا أخرجت من سياقاتها الثقافية الواقعية.وكان الـ"(دا امحند) في الستين من العمر يوما. أنه عمر ينشغل فيه الجزائريّ المحترم في العادة بلقاء ربّه، بحيث يبدع فيه طقوس التطهر. إلاّ أن الـ(دا امحند) بسبب هرموناته استمر في التمسك بالحياة التي لا تكون تعني في بعضها بالنسبة إليه إلا الحق في بلوغ السّماء السّابعة بأيّ طريقة"[25].

ويوضح المقطع كسر الـ(داامحند) للأعراف الجزائريّ وأنماط التفكير فيه من خلال اللهو والمرح في الحياة وهو صاحب الستين العمر،وانجر على كثرة علاقاته (أولغا)أو (حورية) التي رماه أمام إحدى البيوت ليربيها (إبراهيم بافولولو). ويمثل الـ(دا امحند) شخصية كسرت الطابوهات في المجتمع الجزائريّ، وحاد عن الرواسب السلبية التي ترى بوجوب تسليم أموره للغير لمّا يبلغ من العمر درجة العجز.

5.2.المثل الشّعبي:

تشكل الأمثال الشّعبيّة الهوية الثقافية الشّعبيّة للمجتمعات، فهي شكل من أشكال التعبير عن التجربة الإنسانيّة المجسد للأهداف الإيديولوجية والاجتماعية، فهو "لا يقصد إلى التّعليم و التّوجيه بقدر ما يرمي إلى تصوير تجربة إنسانيّة عاشها الإنسان في خصوصيّتها وفي ملابساتها الوجوديّة"[26]، ولهذا عبرت عن الحياة الإنسانيّة المعيشة وشحنت الأفراح والهموم،فمثلا في قوله:"إنّ ما لا تراه العين لا يوجع القلب"[27]، على اعتبار أن عمق ارتباط المحسوس بالملموس حيث تتأثر المشاعر والأحاسيس بالأفعال والسلوكات المحسوسة أكثر مما لا تراه ويمر عليها دون أن تلمحه.

3.خاتمة:

وفي الأخير نستخلص ممّا تقدم،أن الروائي سمير قسيمي من خلال روايته (سلالم ترولار).قد وظف الأنساق الإيديولوجية، باعتبارها السند الثقافي الفكري المختزل لروح الانتماء والمعبر عن السياقات السياسية، والاجتماعية، للفرد الجزائريّ. وفي نهاية دراستنا توصلنا إلى النتائج التالية:

1-**تختزل** الرواية الأبعاد السياسية والاجتماعية، فهي مرآة لإعادة بعث التاريخ الجيوسياسي الجزائريّ بأسلوب سردي ساخر يحاكي الواقع. ويكون اللبنة الأساسية في جودة سبك البناء الفني للرواية.

2-**تفاعلت** العناصر السردية مع الرؤى الإيديولوجية الفكرية. حيث استعان الروائيّ بمختلف الإيديولوجيات في تشييد بناء سردي متميز.

3-**شحن** الروائي الأمكنة بسيرورة التغيرات الفكرية تعبيرا عن التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائريّ خصوصا والتاريخ السياسي والاجتماعي الجزائريّ عموما.

4- **وفِقَ** الروائي في الجمع بين **الفنيّ والإيديولوجي**.حيث نقل من خلاله تجليات الصراعات الإيديولوجية التي كانت مدينة الجزائر مسرحا لها، وما انعكست بظلالها من تغييرات في أنماط التفكير. ممّا نتج عنه **تشكيل روائي متميز** البنية الفنية، ومتفرد الأبعاد الدلالية الإيديولوجية، فهو يعتبر **المفتاح** المحرك لباب التأويل أمام القارئ.

5- **طبق** الروائي آليات تيار التجريب مستعينا بكسر نمطية سيرورة الأحداث، حيث طرق باب الطابوهات في بناء المعالم الاجتماعية داخل النّص الروائي، وشحن من منطلقه آلام ومعاناة الأفراد. فهو يعبر عن التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائريّ والتغيرات السياسية عموما.

الهوامش والإحالات:

[1]-عبد العظيم، أنيس،والعالم، محمود،أمين،(1989م)، في الثقافة المصرية، دار الثقافة الجديدة،القاهرة، ط:03، ص44 .

[2]- مجموعة من الأكاديميين، (2018م)، العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط:01، ص107.

[3]- فضل،صلاح،(1995م)،أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط:01،ص 51.

[4]-خليف، مي،يوسف،(د ت ط)،الأداء الخطابي بين الشاعر والكاتب،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د ط)،ص51.

[5]- طرابيشي، جورج، (شباط/فبراير1997م)، شرق وغرب، رجولة وأنوثة(دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط:04،ص 10.

[6]- قسيمي،سمير،(2019م)،سلالم تروﻻر(رواية)،منشورات البرزخ المتوسط،ميلانو،إيطاليا، ط:01، ص26.

[7]-إدوارد، سعيد،(2011م)،خيانة المثقفين(النصوص الأخير)،تر:الحسين أسعد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية،(دط)،ص86.

[8]-قسيمي،سمير،(2019م)، سلالم ترولار(رواية)، ص 58.

[9]- الغّذّامي، عبد الله، محمد،(1998م)، ثقافة الوهم-المرأة واللغة(مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:01، ص93.

[10]- الغّذّامي، عبد الله، محمد،(2005م)، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، بالمركز الثقافي العربي، بيروت، ط:02، ص15.

[11]-قسيمي، سمير،(2019م)، سلالم ترولار،ص 35.

[12]-المصدر نفسه، ص43.

[13]-الوادي طه، (د ت ط)، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، (دط)، ص34.

[14]-المرجع نفسه، ص35.

[15]-المرجع نفسه، ص35.

[16]-قسيمي، سمير،(2019م)، سلالم ترولار،ص 64.

[17]-المصدر نفسه، ص 65.

[18]-حمدان، رمضان، محمد،(2013م)،دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر (دراسة تحليلية من منظور اجتماعي)،مجلة العلوم الإسلاميّة،كلية العلوم الإسلاميّة، الموصل، العراق، المجلد:07، العدد:13،ص 20.

[19]-قسيمي، سمير،(2019م)، سلالم ترولار، ص 27.

[20]-المصدر نفسه، ص 28.

[21]- يعرف (غولدمان،لوسيان).(رؤية العالم)بأنّها "بالتحديد هذا المجموع من التطلعات، والمشاعر، والأفكار التي تجمع بين أعضاء المجموعة الواحدة (وغالبا الطبقة الواحدة) و تعارضها مع المجموعات الأخرى"، غولدمان،لوسيان،(2010م)، الإله الخفي، تر: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ،(دط)، ص 46.

[22]-الطابو أو المسكوت عنه أيّ الموضوعات المحرمة مناقشتها في المجتمع، للمزيد ينظر: الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/تابو، تاريخ الزيارة: 2022/01/27م، الساعة 16:00 سا

[23]-قسيمي، سمير،(2019م)، سلالم ترولار،ص 19-20.

[24]-المصدر نفسه، ص 37.

[25]-المصدر نفسه، ص 37.

[26]- بورايو،عبد الحميد،(سبتمبر 2011م)،الأدب الشّعبي الجزائري(دراسة لأشكال الأداء في الفنون التّعبيريّة الشّعبيّة في الجزائر)، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د ط)، ص 69.

[27]- قسيمي، سمير،(2019م)، سلالم ترولار، ص 59.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

قسيمي،سمير،(2019م)،سلالم ترولار(رواية)، منشورات البرزخ المتوسط،ميلانو،إيطاليا،ط:01.

المؤلفات باللغة العربية:

بورايو، عبد الحميد،(سبتمبر 2011م)،الأدب الشّعبي الجزائري(دراسة لأشكال الأداء في الفنون التّعبيريّة الشّعبيّة في الجزائر)، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د ط).

خليف، مي، يوسف،(د ت ط)،الأداء الخطابي بين الشاعر والكاتب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د ط).

طرابيشي، جورج، (شباط/فبراير1997م)، شرق وغرب، رجولة وأنوثة(دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:04.

عبد العظيم،أنيس، والعالم، محمود، أمين،(1989م)، في الثقافة المصرية،دار الثقافة الجديدة،القاهرة، ط:03.

الغّذّامي، عبد الله، محمد،(1998م)، ثقافة الوهم-المرأة واللغة(مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:01.

الغّذّامي، عبد الله،محمد،(2005م)،تأنيث القصيدة والقارئ المختلف،بالمركز الثقافي العربي،بيروت، ط:02.

فضل، صلاح،(1995م)، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط:01.

مجموعة من الأكاديميين،(2018م)، العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط:01.

الوادي، طه، (د ت ط)، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، (دط).

المؤلفات المترجمة إلى العربية:

إدوارد، سعيد، (2011م)، خيانة المثقفين(النصوص الأخير)،تر:الحسين أسعد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية ،(دط).

غولدمان، لوسيان، (2010م)، الإله الخفي، تر: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ،(دط).

المقالات:

حمدان، رمضان، محمد،(2013م)،دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر (دراسة تحليلية من منظور اجتماعي)، مجلة العلوم الإسلاميّة،كلية العلوم الإسلاميّة، الموصل، العراق، المجلد:07، العدد:13.

مواقع الانترنيت:

الطابو أو المسكوت عنه أيّ الموضوعات المحرمة مناقشتها في المجتمع، للمزيد ينظر: الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/تابو، تاريخ الزيارة: 2022/01/27م، الساعة 16:00 سا